وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

استثمار الهدايات القرآنية في بناء القيم الإنسانية (صور، ضوابط، ومعوقات)

اسم الباحث/ـة

د/ نبيل صابري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:
فإن الإنسان يرقى في بيئته وينتقل من ظلامية الشرود إلى نورانية الأفق من خلال المحافظة على القيم الإنسانية، والدعوة إلى تفعيلها في جميع الميادين، وتبادلها بين مختلف الحضارات، ولا غرو؛ فقد كان الإنسان المسلم بما حباه الله من قرآن قويم، سَبَّاقا إلى الاسترشاد بالمبادئ الضرورية، ليحافظ على وجوده، ويضمن رفع مستوى أفراده، ويتحقق بمواكبة العصر وتحدياته.

وحيث بادرت المملكة العربية السعودية لتبني مؤتمر هدايات القرآن في بناء الإنسان، أحببت المساهمة في كتابة مقال يتعلق باستثمار الهدايات القرآنية في بناء القيم الإنسانية، وحسن فهم المقاصد العالية للقرآن الكريم ؛لاستنباط كبرى الهدايات الداعية لبناء الإنسان من منظور القيم الفردية، والعائلية، والمجتمعية، والوطنية.

وقد كان الاعتماد على المنهج الاستقرائي للأدلة ثم الاستنباطي للإشارات، محاولا من خلاله إبراز الدور القرآني في تكوين عوامل البقاء، ومعرجاً في تضاعيف ذلك على الضوابط الصحيحة لحسن تنزيل الهدايات القرآنية على واقع الإنسان، ومعوّقات تحقيقها، بالتركيز على الربط بين الميدان العلمي والعملي.

أما بالنسبة لأهداف البحث؛ فهي تتمثل في العناصر الآتية:

١. التبصّر الجيد بمختلف مناحي القيم الإنسانية التي دلّت عليها الآيات القرآنية.

٢. تحقيق الاستفادة القصوى من هدايات القرآن الكريم وتنزيلها على الواقع المعاش، وربط مرجعية الناس بها تنظيراً وتطبيقاً.

٣. تحديد الضوابط اللازمة لإحكام مسار حسن استثمار هدايات القرآن.

٤. تجنّب الصوارف التي تمنع من الربط بين الإرشاد القرآني والواقع المعاصر.

ولتحقيق ذلك؛ حاولت تقريب المادة من خلال الخطة الآتية:

مقدمة البحث: وفيها تناولت أهمية الموضوع والأهداف والخطة البحثية

المبحث الأول: قيم القرآن الهادية لبناء الإنسان

المبحث الثاني: ضوابط استثمار الهدايات القرآنية في بناء القيم الإنسانية

المبحث الثالث: معوّقات تحقيق استثمار الهدايات القرآنية في بناء القيم الإنسانية

خاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: قيم القرآن الهادية لبناء الإنسان:

عرض القرآن الكريم باعتباره كتابه هداية وإرشاد مختلف القيم الأخلاقية والتصرفات الحضارية التي تُؤسس لنشاط الفرد وعلاقته مع نفسه ومجتمعه وما يحيط به من جماد وحيوان، وذلك في مواقفه الحياتية واليومية، كما أوضح كل ما يبعده من عوامل النظر الطائفي والتفاضل على أساس الحسب والنسب.

فالاهتمام بقيم الإنسان في القرآن الكريم كونه سيد المخلوقات وأفضل الموجودات ظاهر لا يكاد يخفى، وهو المصدر الأول للاقتباس، ولا جرم فقد وردت مشتقات القيمة أزيد من ستمائة مرة، ووردت كلمة الإنسان ستة وخمسين مرة، وإذا أردنا تتبع الهدايات الداعية لبناء الإنسان وترشيد تصرفاته مع نفسه وغيره فسنجدها متوزعة على خمس محاور؛ وهي: القيم الفردية، والعائلية، والمجتمعية، والوطنية، والدولية، ولذا سيكون تقريب الهدايات من خلالها، علمًا أنها تتداخل فيما بينها، ولها قواسم بينية من الاشتراك.

المطلب الأول: القيم الفردية:

يعتبر الفرد أول لبنة في بناء المجتمع، فهو المِعول الذي يحصل به الرقيّ والتطور أو التردّي والتدهور، وإذا تأملنا آيات القرآن فإننا نجدها قد أولت عناية بالغة به، ومن بين القيم الفردية:

أ-**الإخلاص**: أولى القرآن عناية فائقة بإخلاص النيات والأقوال والأعمال؛ لأن قبولها متعلق بدرجة صفائها من الرياء والشرك، قال الله تبارك وتعالى في وجوب القصد الحسن: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ (الكهف:١١٠).

قال الواحدي في تأويلها: " أي: خالصًا لا يرائي به، والمفسرون والصحابة على أن هذه الآية نزلت: في النهي عن الرياء، وذكروا في تفسير هذه الآية: ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قال الله: أنا خير الشركاء، من عمل لي عملاً وأشرك فيه غيري، فأنا منه بريء،

وهو للذي أشرك"" (١).

فالآية تهدي إلى ضرورة رعاية وجه الله تعالى وعدم الإشراك الخفي بمراعاة وجه الناس أو ثنائهم ومدحهم؛ لأنه يمحق الخير ويبعد العبد من الربّ، والآيات في هذا المقام أكثر من أن تحصى، فعلى الفرد أن يلتزم بقيمة الديانة الخالصة في جميع تصرفاته كما دل على ذلك المنظور القرآني.

ب– **الصبر**: عظّمت الآيات قيمة الصبر ودعت إلى استحضارها في جميع المقامات، وذلك عند الطاعات فعلاً، وعلى المعاصي تركًا، وأثناء البلايا حِلْما واصْطِبارًا، ورتَّبت أكثر الدرجات على التحلي بها، لأنها مقام من مقام الدين، ومنزل من منازل السائرين إلى الله. قال تعالى في شأن الصبر: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(السجدة: ٢٤)، فالآية ترشد إلى أن اليقين لا بد أن يمزج بالصبر حتى يحظى العبد بالإمامة، قال ابن القيم: "والصبر لِقاح اليقين؛ فإذا اجتمعا أورثا الإمامةَ في الدين" (٢).

فشخصية الفرد تتحدد بناء على مدى التزامه بقيمة الصبر، فهي تعين في تقويم سلوكه وضبط تصرفاته وتهذيبها، ويكون ذلك مع الأولياء المتقين، والأعداء السافلين، ومنهج الأنبياء في القرآن واضح في كيفية التعامل مع المدعويين، قال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾(الطارق:١٧)، جاء في هدايات القرآن الكريم: "منهج الدعاة السير على خطا الأنبياء، بالصبر على سفه الفاجر الدنيء، والحلم على طيش الحاقد الرديء، حتى يقضي الله بأمره" (٣).

ج– الصدق: يُعدُّ الصّدق من أنْبل القِيم التي يتوجَّب على الفرد التَّمثُّل بها في مواقفه وتصرفاته، ولقد اتصف الله به، ووصف به أنبياءه الأطهار في عدة مواضع؛ أمثال: يوسف وإسماعيل وإبراهيم وإدريس ومحمداً عليهم السلام

(١) التفسير البسيط، ١٤/١٧٦.
(٢) الفوائد، ص٢٨٩.
(٣) فريق من المتخصصين، ص٥٩١.

ولقد رتب الأجور الكبيرة على من تحقّق به فقال: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(المائدة:١١٩)، كما دعى المؤمنين إلى التخلّق به فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة:١١٩)، قال القرطبي معلقاً على هذه الآية: "هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين، قال مطرف: سمعت مالك بن أنس يقول: قلما كان رجل صادقاً لا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف" (١).

فالآية تهدي إلى ضرورة الصدق مطلقا في الأقوال والأعمال والأحوال، وهي تفيد بأن الصدق لا ينقطع في الأمة المحمدية، جاء في التفسير الكبير: "ومتى وجب الكون مع الصادقين، فلا بد من وجود الصادقين في كل وقت، وذلك يمنع من إطباق الكل على الباطل، ومتى امتنع إطباق الكل على الباطل، وجب إذا أطبقوا على شيء أن يكونوا محقين، فهذا يدل على أن إجماع الأمة حجة" (٢).

المطلب الثاني: القيم العائلية:

وهي القيم التي تنظّم حياة العائلة من خلال إقامة السلوك المشترك، ومن جملة القيم القرآنية الهادية لبناء الإنسان بين أفراد الأسرة:

أ- الرحمة: تشكل الرحمة ركنا مهما في قوام العائلة ومرتكزا أساسيا في تكوين لَبِنات الأسرة الواحدة، حيث تعتبر السلوك الأول الذي ينبغي توفره بين الزوجين، قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٨٨/٨.
(٢) محمد الرازي، ١٦٦/١٦.

والرحمة عموماً تدخل في نطاق التعامل بين الأزواج، وبين الإخوة، وبين الآباء والأبناء، وبين الأبناء والأجداد، فهي صفة متعدية ذات صبغة اشتراكية تقود إلى الإشفاق والعطف والإحسان والليونة، ومتى ضعفت آثارها وخبت معالمها أدت إلى بروز مقابلاتها من العنف والقسوة والاستبداد والتعسّف، وذلك دليل على خراب الأسرة وانحرافها عن الوسطية والاعتدال.

ولقد وصف الله تعالى نفسه بالرحمة في مواضع كثيرة، وأكد على ضرورة مرافقة الرحمة لحياة الفرد من خلال الإتيان بالبسملة في مطلع كل سورة، فهي تذكر القارئ بأن يكون له حظّ من صفتي "الرحمن الرحيم"، كما جاء وصف الرسالة المحمدية بالرحمة، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

قال الطاهر بن عاشور في تأويلها: "جاءت هذه الآية مشتملة على وصف جامع لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ومزيتها على سائر الشرائع مزية تناسب عمومها ودوامها، وذلك كونها رحمة للعالمين" (١).

ب– **صلة الرحم:** تعتبر الصلة بين الأقارب رافدا من روافد بناء الأسر، نص عليها القرآن وحذر من قطعها بالتدابر والتنابذ، ومن التحذير القرآني الوارد في شأنها قوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾(محمد:٢٢) حيث جعلها الله تعالى بإزاء الإفساد في الأرض، ورتب بعدها عقوبة صاحبه باللعن والمحق.

ومن صور الصلة؛ الإحسان إلى الأقربين بشتى الأنواع وبمختلف الطرق، ودفع الضرر عنهم قدر الإمكان والوسع، كالزيارة والاستضافة والتوقير والتفقّد؛ لأن في المحافظة عليها بين الأقارب تقوية لرابطة الإخاء وامتداد لآواصر العائلة، قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ (الأنفال:٧٥)،والرحم يختلف بعداً وقرباً، فنميز بين الأخ والوالد والجد،

(١) التحرير والتنوير، ١٦٥/١٧.

وبين ابن العم وابن الخال.

إن نظريات القرآن الكريم القِيَمِيَة صريحة في قضية الصلة؛ لأن بواسطتها ينتظم عِقد الأسرة ويصان من الانفراط أو الزيغ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ (النحل:٩٠)، قال ابن عطية معلقا عليها: " (وَإِيتاء ذِي الْقُرْبى) لفظ يقتضي صلة الرحم ويعم جميع إسداء الخير إلى القرابة، وتركه مبهما أبلغ، لأن كل من وصل في ذلك إلى غاية وإن علت يرى أنه مقصر، وهذا المعنى المأمور به في جانب ذِي الْقُرْبى داخل تحت العدل والإحسان، لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماما به وحضا عليه" (١).

ج– **المسؤولية**: إنّ تحمل تبعات الأسرة والقيام بأعباء ومتطلبات أفرادها من حُسْن رعاية وتأدية للعمل على أكمل وجه وأتمّه ضرورة لازمة، وقد كرَّم الله عبده بالمسؤولية وكثَّف الخطاب القرآني في هذا الصدد ليثبت المسؤول على حفظ العهد ويرعاه وفق حدوده المرسومة.

هذا وإن دراسة الآيات الهادية للمسؤولية الفردية الاجتماعية لَتَقُود إلى حسن الانضباط بها، وتحمل الفرد الأمانة وتلقي على عاتقه تعزيز شعوره بها، فمثلا نجد القرآن قد رغّب في هذا التعامل السامي والحضاري وأرشد إليه في آيات عديدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(التحريم:٦).

قال الماوردي: "وفي الوصية التي تقيهم النار ثلاثة أقاويل: أحدها: يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته، قاله قتادة. الثاني: يعلمهم فروضهم ويؤدبهم في دنياهم، قاله علي. الثالث: يعلمهم الخير ويأمرهم به، ويبين لهم الشر، وينهاهم عنه. قال مقاتل: حق ذلك عليه في نفسه وولده وعبيده وإمائه" (٢).

(١) المحرر الوجيز، ٤١٦/٣.

(٢) النكت والعيون، ٤٤/٦.

كما نقف على آيات تبين صنوفها من كونها مادية ومعنوية، وتحدد القائم بها من أب وأم وابن، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه:١٣٢)، وقوله تعالى:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة:٢٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤)، فالمسؤولية تتوزع بين جميع الأفراد، وتناط بمختلف الكيفيات والصور.

المطلب الثالث: القيم المجتمعية:

وهي مجموعة الأخلاق الإيمانية التي تحمي المجتمع من أخلاق الجاهلية، وتقوده للتواصل والاندماج، والتآلف والامتزاج، نذكر منها:

أ-**الإحسان إلى الجار**: أشاد القرآن الكريم بالجار ورغّب في معاملته بالحسنى وجميل الخصال، كما حذّر من إذايته أو إزعاجه أو التعدي على حُرُماته، وفي سنّة النّبي صلى الله عليه وسلم القولية والعملية نماذج كثيرة توضح طرق ذلك؛ لأن صلة الجوار رابطة المجتمع وميثاقه الأول، فالإنسان يسعد أو يشقى في حياته تبعا وكيفية تعامل المحيط معه.

إنّ الإحسان إلى الجار -بغضّ النظر عن الديانة والمذهب- يوثق العلاقات الاجتماعية، ويكفل بتنمية مجتمع يحترم بعضه البعض، ويزيد في تماسك أطيافه، ويدعم إرساء قواعد المحبة والولاء، قال تعالى في بيان السلوك القويم:﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء:٣٦).

قال الشوكاني مبينا مفهوم الآية ومستخلصا هداياتها: "والجار ذي القربى أي: القريب جواره وقيل: هو من له مع الجوار في الدار قرب في النسب، والجار الجنب: المجانب، وهو مقابل للجار ذي القربى، والمراد: من يصدق عليه مسمى الجوار مع كون داره بعيدة، وفي ذلك دليل على تعميم الجيران بالإحسان إليهم، سواء كانت الديار متقاربة أو متباعدة، وعلى أن الجوار حرمة مرعية مأمور بها، وفيه رد على من يظن أن الجار مختص بالملاصق دون من بينه وبينه حائل، أو مختص بالقريب دون البعيد" (١).

ب- **التكافل الاجتماعي**: هو مكرمة من مكارم الأخلاق المجتمعية، وسلوك من سلوكيات الأمم الربانية، هَدَت إليه آيات الذكر الحكيم؛ لأنّ تفعليه بين الأفراد والأسر يقتضي إقامة مجتمع قوي ومتلاحم، سداه التكاتف والتعاون، وبناه العمل الخيري والتضامن، ومن جملة النصوص التي أشارت إليه، قوله تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾(المائدة:٢)، وقوله تعالى:﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾(التوبة:٧١)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (التغابن:١٦)، ولعل أعظم ما نلمحه من هداية القرآن في هذا الصدد، أن العبادات النفعية للإنسان كالصلاة والصوم والحج لا تكفي لوحدها في تحقيق الإيمان إلا بأعمال النفع المتعدي للغير. إن التكافل الاجتماعي لا يقتصر على المساعدات المالية، بل يتعدى إلى تحسين جودة الحياة من خلال التعليم والتكوين، والرعاية الصحية، والدعم النفسي والمعنوي، وغير ذلك من الصور، وعليه فينبغي أن يكون خلق التكافل والتضامن شعار المسلم، يتمسك به، ويدعوا الناس إليه، ويشيعه في بناء علاقات وطيدة ومستدامة، ليحقق مبدأ الموالاة والاهتمام بالآخرين، ويغرس التوازن الاقتصادي، والتماسك الروحي.

(١) فتح القدير، ٥٣٦/١.

ج- **العفو والصفح:** تكرّر النّداء في القرآن الكريم إلى التخلّق بالعفو عن أخطاء الغير، والتجاوز عن مظالمهم، وذلك سعيا لإقامة مجتمع مسالم متكامل، ينعم في الإخاء بعيدا عن أجواء الشحناء والبغضاء، قال تعالى مرغبا في ذلك: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾(الحجر:٨٥)، وقال أيضا: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(الشورى:٤٣).

ولعل أكثر ما يرغّب العبد في خلق العفو ويهديه لذلك ترتّب عفو الله عن عفوه ومغفرته، وقد جاء النص مبينا لقصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة حين تكلم في عرض بنته المطهرة، فأنزل الله: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(النور:٢٢)، "فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب يا ربنا أن تغفر لنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدا" (١).

المطلب الرابع: القيم الوطنية:

وهي القيم التي تؤطر العلاقة بين الحاكم والرعية، وقد هدت الآيات القرآنية لمنظومة من المبادئ الوطنية وجعلتها محل اهتمام لمركزيتها وحساسيتها، نذكر منها؛

أ- **المساواة:** وذلك من خلال إتاحة الفرص لجميع المتكافئين، وتوزيع الخيرات والزكوات على مستحقيها من غير اعتبارات جهوية وعرقية، وتقسيم الثروات بالعدل والإنصاف، والقسط والسويّة.

ولا يخفى أن القرآن قد سلط الضوء على قيمة العدل بين المجتمع الواحد، وأوجب مراعاته في جميع التصرفات، ومن آكد الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ٦/٣١.

خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾(المائدة:٨)، فالعدل ركيزة تقوم عليها الأوطان، وتنتظم بها شؤون الحياة، وقد أبانت الآية الدعوة لتجسيد العدل وتحكيم القسط حتى في حال العداوة مع الأقوام.

كما دعت الآيات لإقامته ولو كان على حساب النفس والأقربين، كما جاء في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ (النساء:١٣٥).

قال ابن باديس: "من طبيعة ملك النبوة؛ إلتزام الحق ونصرته حيثما كان بإقامة ميزان العدل في القول والحكم والشهادة بين الناس أجمعين، المعادين والموالين" (١)، فالأخلاق القرآنية تحث على إيثار العدل والكفّ عن الجور، وتجعل الإنصاف فوق كل اعتبارات البغي والطغيان.

ب- **الدفاع عن الوطن**: وذلك بالأقوال والأفعال في جميع المحالّ؛ لأنه ضرورة لاستمرار الحياة، ويشترك في قيمة صدّ العدوان والذود عن حياضه جميع الأفراد، فباستقرار الوطن واستتاب الأمان ينعم المجتمع في هناء ويرفد في رخاء.

قال الله تبارك وتعالى في بيان سنة التدافع الكونية التي بواسطتها تصان البلاد والصوامع والمساجد:﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(الحج:٤٠).

قال البغوي في تفسيرها: " قال ابن عباس ومجاهد: ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين، وخربوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار

(١) مجالس التذكير، ص٢٥٠.

والفجار لهلكت الأرض بمن فيها، ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر" (١).

فالوحدة الوطنية مكسب حضاري ينبغي المحافظة عليه ومواجهة جميع التحديات التي تؤثر على استدامته، وتضعف جانبه، وذلك من خلال المحاربة القتالية أو المواجهة بالحوار والنقاش للأقلام المأجورة والأبواق المسعورة، التي تبثّ الحقد وتحرّض العامة على السلطة الراشدة وأجهزتها النظامية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾(النساء:٥٩)، ومن هدي الآية؛ طاعة أولي الأمر بالوقوف معهم ومحاربة من يناوؤهم.

ج- **الشورى:** استعرض القرآن الكريم مبدأ الشورى، وشجّع على الانتهاض بها، وعدم الاستبداد بالرأي الواحد والانفراد بالتدبير في الولاية والحكم وما دون ذلك من القضايا التي يشترك فيها الجماعة من المجتمع أو طرفين من الأسرة في سبيل إدارة شؤونهم، وقد ورد اللفظ في القرآن ثلاث مرات، كلها تجتمع على اتخاذها مبدءًا أساسيا في التسيير والحكم الفردي أو الجماعي.

فالشورى مطلب قرآني قبل أن يكون مطلبا قانونيا أو إنسانيا، والقيام بها يحقق المصلحة العامة والخاصة، ولقيمتها فقد سمى الله سورة من السور باسم "الشورى"، يقول الله تعالى في ثناياها مقررا لها: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾(الشورى:٣٨)، حيث نصّت الآية على أنها عنصر من عناصر الإيمان.

ومما ينبه إليه أن القائم بها لا بدّ أن يتصف بمجموعة من الصفات، وهي: الإسلام والعدالة والعقل والعلم والتكليف والحرية والأمانة والمواطنة (٢)، وقد جعل الألوسي في تفسيره إقامتها على الوجه المطلوب وبشروطها اللازمة من

(١) معالم التنزيل، ٣٠٨/١.

(٢) الشورى في ضوء القرآن الكريم، هبة عوف عبد الرحمن، مجلة كلية البنات الأزهرية، مصر، المجلد ٦، العدد ٥، ٢٠٢١م، ص١١٤٤.

أسباب صلاح الأرض، وإذا لم تكن على ذلك الوجه كان إفسادها للدين والدنيا أكثر من إصلاحها (١).

المطلب الخامس: القيم الدولية:

دعت الآيات القرآنية إلى إقامة العلاقات البشرية بين الأمم، وذلك لتحقيق المكاسب للأمّة على جميع الأصعدة، ومن تِلْكُم القِيم الإنسانية الرّاشدة:

أ- **الوفاء بالعهود والمواثيق:** وضع القرآن الكريم نظاما فريدا في التعامل بين الدول، مبناه على إقامة المواثيق والعهود، وحفظ العلاقات المبرمة في سبيل التعايش السلمي، يقول الله في مطلع سورة المائدة والتي هدفها الوفاء بالعهود مطلقا وذلك مع الله أو مع الناس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ (المائدة:١). فالآية الكريمة تنص على وجوب رعاية العهد، وذلك يقتضي عدم نَكْثِه والتحايل في إبرامه والخديعة في توثيق شروطه، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (النحل:٩١).

ومما يندرج في مفهوم الوفاء به حفظ مصالح الذمّيين والمعاهدين القائمين بدول الإسلام، وضمان ذِمَمِهم بالاتفاقات والوصايا؛ لأنها حقوق ملزمة لا تقبل التعطيل أو التعدي عليها، وذلك من أجل إقامة مقصد السّلام بين الدول والشعوب في العالم.

إن هدايات القرآن الكريم توحي بضرورة صياغة حياة الأفراد والدول وفق دستور العهد وقيمة الوفاء به؛ لأن العلاقات الاقتصادية والثقافية والسياسية لا تنتظم إلا بسلوك خصلة الالتزام بالميثاق،

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم نماذج كثيرة تدل على وفائه بالعهد وتوثّقه بمبادئه، سواء في عهوده التي باشرها مع أصحابه، أو الرسائل والمكاتبات التي بعثها.

(١) روح المعاني، ٤٧/١٣.

ب– **التَّعارف**: التعارف قيمة قرآنية وسنّة إلهية، أقامها الله تعالى كفطرة ثابتة في نفس الإنسان، ودعا إليها صراحة في محكم الفرقان، حيث قال جلّ ثناؤه وتعالى عن النسيان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(الحجرات:١٣)، قال أبو زهرة في تأويلها: "فما جاء الإسلام للحرب والخصام، بل جاء بالهدى والسلام، ولكن سلام الإسلام سلام عزيز قوي" (١).

فهتاف الآية ونداءها صريح في الدعوة للتخلّق بقيمة التعارف بين الجميع، واستواء الناس في الحقوق والواجبات، قال محمد عزت دروة: "وهي من أجل ذلك؛ يصح أن تعتبر من روائع جوامع الكلم القرآنية وأقواها وأبعدها مدى وأثرا في الحياة الاجتماعية والسياسية والشخصية والإسلامية" (٢).

إن التعارف الإنساني الذي يشيعه القرآن لا يعني الانسلاخ من جوهر الدين والذوبان في بوتقة الغرب، بل هو تعارف محدود بضوابط التعايش السلمي والتفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب في العالم، وهو يقتضي مسايرة التطور وركوب موجة التقنية التي تتيح التعارف وتذلل صعابه، من غير أن يكون لأحد فضيلة على أحد، لا في الحسب أو النسب إلا بتقوى الله تعالى.

وبواسطة تفعيل الفقه التواصلي بين الحضارات دعوة لحسن إعمار الأرض وإفشاء للإنسانية، وفي تأمل الآية السابقة التي افتتح النداء فيها بالناس تأكيد لإشاعة القضية وأنها جامعة لا تخصّ فئة دون أخرى.

ج– **الحذر من الإفساد**: لم تتخلّف آيات القرآن عن بيان خطر الفساد والإفساد المنتشر بين الأفراد والمجتمعات، فأكّدت في عديد من المرات على مكافحته وتجريمه، وحذرت من استغلال السلطة في سبيل الحصول على منفعة لجهة معينة أو دولة عن طريق انتهاك القوانين والخروج على المعايير السائدة

(١) زهرة التفاسير، ٦٥٣/٢.

(٢) التفسير الحديث، ٥٢٣/٨.

والمواثيق المبرمة، سواء في الجانب الإداري أو السياسي أو الأخلاقي أو الاقتصادي، يقول الله تعالى في بيان ذلك: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(البقرة:٦٠)، ويقول: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (البقرة:٢٠٥)، ويقول: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(المائدة:٣٣)، ويقول أيضا:﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص:٧٧)، وغيرها من الآيات.

إن مجموع دلالات الآيات الكريمات من الإشارة والإيماء والفحوى والاقتضاء تهدي إلى ضرورة الحذر من الإفساد وعوامله التي تجرّ إليه، وكذا تحديد سبله التي تنمّيه وتجعله ظاهرة مترسخة في الأنظمة، وعليه ينبغي أن يشاع هذا الخلق وتصاغ قضيته في القوانين والتشريعات ليضمن المجتمع تحقيق صلاحه وبنائه القِيَمي، ويَنْعم بعيدا عن هدْرِ الحقوق وظلم الأنفس.

هذا وإن التأمل في الآيات الهادية إلى الحذر من الإفساد يقودنا إلى إدراك قيمة النص القرآني والمعاني العالية التي يدعو لها ويحث عليها، وهي قيم تكاملية تغطي جميع الجوانب الإنسان، وترفع من سبل عيشه الكريم.

المبحث الثاني: ضوابط استثمار الهدايات القرآنية في بناء القيم الإنسانية

إن الاستثمار الحسن للهدايات في مجال القيم الإنسانية لا بد وأن ينضبط بجملة من الأسس والركائز حتى يسهم في بناء الوعي ويحقق النفع المرجو من التدبّر والرشاد، والذي ظهر لي بعد التتبع والنظر أنها تتعلق بخمس ضوابط أساسية:

المطلب الأول: التمكن من ناصية الاستنباط والمهارة في حسن الاستدلال:

يعتبر هذا الضابط أصلاً متيناً لمن رغب الكتابة والمشاركة في باب القيم الهدائية، وهو ركن يتعلق بشخصية وقدرة المستنبط، ومؤهلاته واستعداداته الروحية والفكرية، ويعبر عنه في كتب أنواع علوم القرآن بشروط المفسّر.

فمن العبث أن يلج الباحث باب الهدايات وهو جاهل بأصول الاستنباط وقواعد التفسير، غير مستحضر لما تعلق بالآي من "مراعاة أحوال النزول" (١) ووقائعه وأسبابه، والناسخ والمنسوخ، ومراتب أقوال المفسرين وكيفية الترجيح، والمقاصد والحِكَم وغير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية؛ خاصة ما تعلق منها بالبلاغة؛ لأن علم التفسير مقدمة للهداية وبابها، وما هي إلا غايته ونتاجه، وأنى للمسترشد أن يستلّ الإرشادات وهو جاهل بمعنى الآية وما تدل عليه.

فعلى المستهدي أن يتّسم بالمؤهلات الضرورية التي تسمح له بإبراز هدايات الآية الكلية والجزئية، وأن لا يخوض فيما استأثر الله بعلمه من الغيب، ولا يتكلف في استنطاق المعاني والإشارات الخفية البعيدة عن جوهر الآية، هذا وإن كُتِبت الكتابات في مجال الهدايات وأقيمت الدراسات إلا أنّ لكلّ ناظر نصيبه من التوفيق والفَتح، وكم ترك الأوَّل للآخر.

قال ابن القيم في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا

(١) ضوابط تنزيل الهدايات القرآنية على الواقع، فخر الدين المحسي، ص٢٩.

لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾(سبأ:٢٢): "فكفى بهذه الآية نوراً، وبرهاناً ونجاة، وتحريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن" (١).

فالنص القرآني يحمل في طياته جميع الهدايات التي تضمن حياة الفرد والمجتمع في محيط يسوده الأمان والاستقرار، كما قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾(الأنعام:٣٨)، وما على المتدبّر إلا أن يحسن اقتناص النماذج واقتباس الإشارات كي يفعّلها في الواقع ويضمّنها في قوانينهم ويسنّها في تصرفاتهم، وهذا لا يعني أن جميع المواقف الحياتية التي تعرض للإنسان لها إجابتها التفصيلية المحررة، وإنما يؤصل القرآن للمفاهيم الكبرى، ثم على المسترشد أن يتحرك في مساحة القرآن ويجتهد في مسايرة المتطلبات من خلال البناء على المنجز التراثي.

وأكثر ما ينفع في باب الهداية هو سلوك مسلك التدبّر بتثوير المعاني؛ لأنه باب عظيم يدلف به لاستنباط الحكم واستخراج الهدايات، قال ابن القيم في ذلك: "فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبُّر القرآن وإطالة التأمُّل له، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشرِّ بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما .... وبالجملة تعرِّفه الربَّ المدعوَّ إليه، وطريقَ الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرِّفه في مقابل ذلك ثلاثةً أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه" (٢).

(١) مدارج السالكين، ١/٣٥١.

(٢) مدارك السالكين، ٢/٨٤.

فكلما ازداد العبد تأملا وتدبرا، كان أقرب لتحصيل الهدايات ودركها، ومن ثمّ تحسين الأخلاق وتقويم السلوك الذي هو أحد المعاني التي يشتمل عليها القرآن، كما قال الشاطبي: "تلخص من مجموع العلوم الحاصلة في القرآن اثنا عشر علما، وقد حصرها الغزالي في ستة أقسام: ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمة، وثلاثة هي توابع ومتممة، فأما الثلاثة الأول؛ فهي تعريف المدعو إليه، وهو شرح معرفة الله تعالى، ويشتمل على معرفة الذات والصفات والأفعال، وتعريف طريق السلوك إلى الله تعالى على الصراط المستقيم، وذلك بالتحلية بالأخلاق الحميدة، والتزكية عن الأخلاق الذميمة، وتعريف الحال عند الوصول إليه، ويشتمل على ذكر حالي النعيم والعذاب، وما يتقدم ذلك من أحوال القيامة ..." (١).

المطلب الثاني: الفهم الصحيح للهدايات والقيم الإنسانية:

إن فهم المصطلحات العلمية والشرعية ضرورة لازمة، وهي أول خطوات التمكين والتنزيل، ولمن رام الإفادة في باب الهدايات والقيم الإنسانية عليه أن يقف عند دلالة المصطلحَيْن فيفهم حدودهما، ويضبط أصولهما، وإلا أثّر ذلك على مقاربته وتجديده.

وحيث إن هذا البحث يقتضي الإشارة إلى ضوابط الاستثمار الحسن، كان من المناسب التنبيه إلى مسائل على وجه تصورات مركزة دون الحاجة إلى تفصيل التعريف في كل من الهداية والقيم، خاصة وقد تناولهما جمهرة من الباحثين والكتاب، وتلكم المسائل هي كالآتي:

- **ضرورة الالتزام في التعريف بالمنظور القرآني**؛ لأن القرآن الكريم قد استوعب الكلام عن القيم من جميع الحيثيات والنواحي، ولذا فمن كمال البحث عدم الخوض في تعريفات علماء النفس والتربية والاجتماع وما دوّنه الفلاسفة وعلماء الغرب.

(١) الموافقات، ٤/٢٠٦.

- **مراعاة حدود القيم**: للقيم حدود دقيقة، فمن جاوزها ظلم وعسر، ومن قصر عنها ضعف وانكسر؛ وضابط ذلك الوسطية في استخدامه وبثّه بين الأفراد والمجتمعات والدّول، كما قال تعالى في بيان سلوك الاعتدال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ (الفرقان:٦٧).

فميزان الأخلاق دقيق، ومِسْبار القِيم مَرِن، ولذا لزم على المُنظّر والداعي أن يحسن التمرّس من غير إفراط أو تفريط، خاصة ما تعلق منها بالقيم الدولية التي تتطلب حصافة وألمعية، ونباهة وذكاء، لأن ارتداد غنمها أو غرمها سيترتب على مصير الأمة الحاضرة، والأجيال المستقبلة.

- **عدم التخليط بين الهدايات القرآنية والآيات القرآنية**: وهذا قد وقع لكثير من الكاتبين في حقل الهداية، حيث يبنون خلاصات ويقعّدون أصولا ترتبط بالآية لا ما يستنبط منها من إرشاد.

- **التركيز على الهدايات الكلية**:؛ لأنها تتميز بوفرة الأدلة وقوة البراهين وظهور المعاني، بخلاف الهدايات الجزئية المتفرعة عنها والتي تقلّ عنها وفرة ودلالة، وهذا لا يعني إغفالها وعدم العناية بها، وإنما من باب تحصيل الأول فالأول، ومتى تمسك الإنسان بكبرى القيم سهل عليه أن يصيب أفرادها وما استنبط بأوجه خفية.

المطلب الثالث: الإدراك المتوازن للواقع:

لا يكفي لأرباب الاجتهاد والراسخين من أهل النظر الاطلاع الواسع على أصول الهدايات وباب القيم، فما أشد الحاجة أن يكون الناظر صاحب دراية بواقع الناس ومشاكلهم، وطموحات الأجيال ومتغيراتهم الاجتماعية، وذلك حتى يلامس الحقيقة ولا تكون أحكامه سطحية عرجاء، واستنباطاته بعيدة عن حاجة البشرية الحالية وتطلعات الحضارة المستقبلية.

فكلما اقترب المجتهد في باب الهدايات القيمية من النواحي النفسية والتربوية والسياسية والاقتصادية للإنسان كانت نظراته أصوب، وإرشاداته أحكم، وكلما

ابتعد من الوسط الذي تموج فيه حياة الناس ضاقت تبصُّراته، بل ربما كان ضررها أكبر من نفعها.

فمعرفة الواقع يعمق نظرة المستهدي بعد الاطلاع الواسع على اجتهادات المتقدمين، ولذا قال ابن عاشور: "مشاهدة الواقع، مما يهدي إلى تأويل هذه الآية" (١)، ولكن بالمقابل؛ على المتأمل أن لا يطغى عليه الواقع فيجعله حاكما على الآية، وميزانا لها، فيحور الدلالة القرآنية.

وعليه فالواقع يفرض عصرنة الخطاب الهدائي، وفهم الساحة المجتمعية، ولا يعني ذلك القطيعة للتراث، وإنما توظيفه في حلة تجديدية تناسب حاجيات الناس وتطلعاتهم، تحت شعار: "القرآن كتاب هداية".

ومن المفسرين المعاصرين الذين استطاعوا إيصال الهدايات من خلال التحليل المتكامل للواقع والفهم الحسن للمؤثرات الإمام ابن باديس، ويشهد لذلك صديقه البشير الإبراهيمي، حيث يقول عنه: "ثم جاء أخونا وصديقنا الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس قائد تلك النهضة بالجزائر بتفسيره لكلام الله على تلك الطريقة وهو ممن لا يقصر عمن ذكرناهم في استكمال وسائلها من ملكة بيانية راسخة وسعة اطلاع على السنة وتفقه فيها وغوص على أسرارها، وإحاطة وباع مديد في علم الاجتماع البشري وعوارضه، وإلمام بمنتجات العقول ومستحدثات الاختراع ومستجدات العمران، يمد ذلك كله قوة خطابية قليلة النظير، وقلم كاتب لا تفل له شباة" (٢).

المطلب الرابع: حسن التنزيل والربط بين الهداية والواقع:

القيم الإنسانية كمبادئ عامة مشتركة بين الإنسان ومعايير لسلوك الفرد والجماعة والدولة والأمة هي قِوامات ثابتة لا تتغير، وجواهر راسخة لا تتحوّل، ولكن طريقة ممارستها وكيفية تنزيلها تختلف تَبَعًا وطبيعة الزمان والمكان.

(١) التحرير والتنوير، ٤٨/٦.

(٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ٣٢٧/١.

وإذا أمعنا النظر في ما يعترض حياة الإنسان اليوم من حروب أهلية ونزاعات طائفية وخصومات تقوم على أساس اللون أو العرق أو القبيلة، أدركنا أن مصدر التحدّيات الجسيمة التي أضرت بالأمان والاستقرار تتوقف على افتقاد جوهر القيمة الأخلاقية، وغياب تحكيم المبادئ العالية التي فطر عليها الإنسان، وهو ما يدعونا إلى إعادة تقويم الذات وملاحظة القواسم المشتركة ومراقبة الحركة التفاعلية بين الشعوب والأمم من أجل وضع حد لانحلال السلوك وانهيار الحضارة الزائفة.

هذه البوادر القيمية من شأنها أن تصون الفرد من زوبعة الصراع الداخلي والخارجي، وتكسبه الثقة والاحترام والأمان، وتُعمّق التقارب بين بني جلدته، وتدفعه للمسالمة وغضّ الطّرف عن الفوارق الجزئية والاختلافات الفرعية، وبواسطة استثمار تلكم المفاهيم الهدائية القرآنية وتوريثها للأجيال القادمة بالتعليم والتلقين يمكن تلافي العديد من التوتّرات المجتمعية والأزمات الدولية والأفكار العصبية.

إن المفسرين قد اعتنوا بالواقع أشد عناية، وربطوا أحكام القرآن وهداياته تبعا وحاجة الناس لذلك لم يزل التفسير يشهد تطورا في المناهج وتغيرا في الأساليب حسب الأعصار والأمصار، فبرز التفسير الإصلاحي، والتفسير الهدائي، والتفسير الاجتماعي، والتفسير التربوي، وغير ذلك من المناهج.

وأكثر ما ينفع في باب حسن التنزيل والربط بين الهداية والواقع هو التدرج وطول النَّفس في التربية والتلقين، ولذا فإن الهدايات تجد طريقها لقلوب الناس مع التفسير المستدام في الحِلَق والمجالس، ولو تأملنا صنيع كبار المفسرين، لوجدناهم يفسرون القرآن في عشرات السنين، كل ذلك من أجل إحداث إصلاح أكبر في الأسر والمجتمعات، وتعميق القيم وترسيخها.

المطلب الخامس: صلاحية المحل المستقبل:هذا العنصر يتعلق بصلاحية المتلقّي ونسبة تفاعله مع التأثيرات الإيمانية والنفحات الربانية، فكلما كان أكثر

استعداداً للغرس وقبولاً للقيم انتفع بالهدايات، وكلما اعتلق قلبه بالموانع وتلطخ بالشوائب لم يزده البيان إلا حيرة وضلالاً.

ولذا اهتم الكاتبون في باب الهداية بذكر سبل تحقيق الهداية وموانعها (١)؛ ومن جملة ما ذكروه في سبل تحصيلها: الإيمان والإسلام، تقوى الله، تلاوة القرآن وتدبره، العلم والعمل، الدعاء بطلب الهداية، الاستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، التوبة والإنابة، اتباع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهديهم.

أما موانع تحقيقها فذكروا لذلك: الكفر، والظلم، والفسق، والخيانة، وحب الدنيا وكراهية الموت، واتباع الهوى، والكذب، والكبر، والحسد، إلى غير ذلك من الأدواء القلبية والأمراض النفسية.

إن هذه الأسباب والموانع هي متناثرة في آيات القرآن، فعلى المسترشد أن يستحضر الهداية في جميع مواقفه، ولا أدل على ذلك من الدعاء الذي يستذكره المصلي في اليوم أكثر من سبعة عشر مرة، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾(الفاتحة:٦)، قال ابن جزي في تأويلها: "اهدنا: دعاء بالهدى، فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟ فالجواب إن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت، أو الزيادة منه فإنّ الارتقاء في المقامات لا نهاية له" (٢).

(١) ينظر مثلا: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، نخبة من المختصين، ص٦٦٣.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ٦٥/١.

المبحث الثالث: معوقات تحقيق استثمار الهدايات القرآنية في بناء القيم الإنسانية

في سبيل تعزيز القيم الإنسانية وإفشاء أسس التفاعلات الأخلاقية بين الأفراد والجماعات نجد جملة من العوائق التي تحول دون تحقيق الهدايات الراشدة والمقاصد الرائدة، وهي عموما ترجع إلى تراكم أسباب كثيرة، ينسل بعضها من بعض، وأراها ترتدّ للعناصر الآتية:

المطلب الأول: ضعف البصيرة العلمية:

يعتبر هذا العائق مانعا من موانع الاستفادة من الهدايات الربانية، فالجهل بتركيب الكلام وعدم الإحاطة بسياق الآي وسوابقه ولواحقه يؤثر على الفهم الصحيح؛ ويقود للجناية على المقصد الأسمى من الخطاب القرآني.

ولذا أفاض العلماء في التحذير من الرأي المذموم المبني على الهوى أو الجهل بالأصول واللغة، وفي هذا الصدد أورد الواحدي بسنده إلى سليمان بن نضلة المديني ما نصه: "سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا" (١)، ولذا لما سئل عن مسألة فقيل له: " إنهم قد ذكروا عنك أنك ترى إتيان النساء في أدبارهن، فقال: معاذ الله، أليس أنتم قوماً عرباً، فقلت: بلى، فقال: قال الله عز وجل: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(البقرة:٢٢٣) وهل يكون الحرب إلا في موضع الزرع أو في موضع المنبت " (٢).

ويندرج في هذا السياق الحذر من الإسرائيليات؛ لأن الهدايات ترتبط كثيرا بالقصص والأمثال، ومثلها قد دخلها الضعف نتيجة إكثار المفسرين منها دون تمحيص وبيان، وفي هذا يقول محمد حسين الذهبي: "ولقد كان لهذه

(١) التفسير البسيط، ١/٤١٠.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي القيسي، ١/٧٣٨.

الإسرائيليات التي أخذها المفسِّرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالي المخترَع، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها، لاعتقاده أنَّ الكل من واد واحد" (١).

المطلب الثاني: غياب القدوة العملية:

وأقصد به الفراغ المتكوّن بين حامل القيم الخلقية والمتأثّر به؛ لأن القيم هي سلوك وعمل، فالالتزام بأبعادها ضرورة يجب أن تتوفر في المربي والمؤدب والمعلم والقائد والحاكم، حتى يستضيء بمشكاتها المتعلم، ويرد من شرعها المتخرج، ويقتبس من نورها المرؤوس.

ومتى أصبحت ارتجالاً يترنّم بها في المجالس؛ استسرّت آثارها، وعميّت مسالكها، وتنكّرت معالمها، ولذا يجب على الدعاة والمصلحين أن يرسموا خريطة العمل في أذهان النشئ، ويعوّدوهم على خَطْو درجات القيم من خلال الاهتداء بالآيات والعمل بمقتضاها، وإلا فقدت القيم هدفها، وضاع الأمل المأمول في إنشادها.

وقد ضرب المفسرون في تفاسيرهم أمثلة كثيرة أرادوا من خلالها إبراز الجانب العملي وأثره في تكوين القدوة، ومن ذلك ما أورده ابن العربي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾(المؤمنون:٢): "صليت المغرب ليلة ما بين باب الأخضر، وباب حطة من البيت المقدس، ومعنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي الزاهد، فلما سلمنا تمارى رجلان كانا عن يمين أبي عبد الله المغربي؛ وجعل أحدهما يقول للآخر: أسأت صلاتك، ونقرت نقر الغراب، والآخر يقول له: كذبت؛ بل أحسنت وأجملت، فقال المعترض لأبي

(١) التفسير والمفسرون، ١/١٣٠.

عبد الله الزاهد: ألم يكن إلى جانبك؛ فكيف رأيته يصلي، قال أبو عبد الله: لا علم لي به، كنت مشتغلا بنفسي وصلاتي عن الناس وصلاتهم، فخجل الرجل وأعجب الحاضرون بالقول، وصدق شيخنا أبو عبد الله الزاهد" (١).

فعلينا نشر القيم بالاستفادة من الهدايات، وبثها بين أفراد المجتمع وفي أوساط العالم الغربي، والدعوة إليها من خلال ترجمة الآيات وحسن توظيفها بالسلوك الحسن والملاطفة في الخطاب ولين الجانب، وصناعة ما يعرف بالقدوة الصالحة.

قال تعالى في بيان قيمة القدوة وفضيلة الاقتداء: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(الفرقان:٧٤)، قال السعدي معلقا عليها: "أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والكمل من عباد الله الصالحين، وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون" (٢).

المطلب الثالث: التكلف في استخراج ما لا فائدة فيه:

إن المسلك القويم في كتابة الهدايات هو الانطلاق من هدي الآيات والدوران فيما تفيده من معاني وإرشادات، دون الحاجة إلى الزيادة على ذلك من التحمّل الذي لا تدل عليه؛ لأن التصنّع يقود إلى الخروج عن الشرع والتنطّع في استخراج إشارات لا علاقة لها بالنصّ القرآني، والمأمور به في الاستهداء هو التدبّر السنّي.

ولذا حرص بعض المفسرين على نقد صنيع المغالين في باب التفسير، يقول الشاطبي مبينا حدود التفسير والتدبر: "إن علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإذا كان المراد معلوماً؛ فالزيادة على ذلك

(١) أحكام القرآن، ٣١٣/٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٥٨٧.

تكلف، ويتبين ذلك في مسألة عمر، وذلك أنه لما قرأ: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ (عبس:٣١) ، توقف في معنى الأب، وهو معنى إفرادي لا يقدح عدم العلم به في علم المعنى التركيبي في الآية؛ إذ هو مفهوم من حيث أخبر الله تعالى في شأن طعام الإنسان أنه أنزل من السماء ماء فأخرج به أصنافا كثيرة مما هو من طعام الإنسان مباشرة؛ كالحب، والعنب، والزيتون، والنخل، ومما هو من طعامه بواسطة، مما هو مرعى للأنعام على الجملة؛ فبقي التفصيل في كل فرد من تلك الأفراد فضلا فلا على الإنسان أن لا يعرفه، فمن هذا الوجه والله أعلم؛ عد البحث عن معنى الأب من التكلف، وإلا؛ فلو توقف عليه فهم المعنى التركيبي من جهته لما كان من التكلف،

بل من المطلوب علمه لقوله: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾(ص:٢٩) " (١).

وقال أبو حيان في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:١٠٦): "وقد تكلم المفسرون هنا في حقيقة النسخ الشرعي وأقسامه، وما اتفق عليه منه، وما اختلف فيه، وفي جوازه عقلاً، ووقوعه شرعاً، وبماذا ينسخ، وغير ذلك من أحكام النسخ ودلائل تلك الأحكام، وطولوا في ذلك، وهذا كله موضوعه علم أصول الفقه، فيبحث في ذلك كله فيه، وهكذا جرت عادتنا: أن كل قاعدة في علم من العلوم يرجع في تقريرها إلى ذلك العلم، ونأخذها في علم التفسير مسلمة من ذلك العلم، ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير، فنخرج عن طريقة التفسير، كما فعله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، المعروف بابن خطيب الري، فإنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة، لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك حكي عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلا التفسير، وقد ذكرنا في الخطبة ما يحتاج إليه علم التفسير، فمن زاد على ذلك، فهو

(١) الموافقات، ١/٥٧.

فضول في هذا العلم" (١).

ولئن اعترض نقاد التفسير على إدخال الغريب وما هو فضلة إلى علم التفسير، فباب الهداية أضيق وأحصر؛ لأنه يتعلق بالمعاني الهدائية للآيات، ولذا فمن التكلف مثلا أن يعمد الناظر إلى ما هو ما فضلة في علم التفسير كادعاء المناسبات المتكلفة بين الآيات والسور ثم يحاول استخراج الهدايات منها.

خاصة وعلم الهدايات يتوجه بالدرجة الأولى لطبقة عوام المسلمين، فلا يضرهم غياب ما هو من التحشية والاستطراد؛ لأنها تشغلهم عن معايشة الهدي وتحجبهم عن أنوراه، لذلك "لن يضير قارئ القرآن ودارسه شيئاً لو لم يطلع على هذه المطولات أصلاً، ولم يفته شيء من هدى القرآن وكنوزه لو لم يعرف عنها شيئا، ولن ينقص علمه بالقرآن لو لم يتعامل معها مطلقاً " .

المطلب الرابع: تحريف الهدايات القرآنية تبعا للواقع:

لعل الدعوة إلى استثمار الهدايات القرآنية في باب القيم يدفع البعض للتفكير خارج النطاق المسموح به، لذا وجب التنبيه على أن تحوير الدلالة القرآنية من عوائق تحقيق الهدايات، خاصة وقد ظهرت محاولات تجديدية ومناهج غربية أرادت استقدام العقل على النقل، وتغليب النظر الحداثي على التقعيد التراثي، أمثال محمد شحرور ومحمد أركون ونصر حامد أبو زيد وغيرهم.

وإن البعض من شدة ربطه لهدايات الإنسان وتحسين قيمه بالقرآن الكريم تراه يؤول النصوص المتعلقة باليوم الآخر على حياته وتصرفاته، كمثل تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾(التكوير:٥) بأن ذلك مرادا به حشر الحيوانات في الأقفاص، ثم يستنبط هداية تفيد بتحريم تربية الحيوانات بجميع أشكالها وأصنافها، وهذا مما لا يحتمله النصّ القرآني.

(١) البحر المحيط، ٥٤٧/١، وينظر أيضا: ٣٢/١، ١٦٩.

لذا لزم أن تندرج الهداية تحت أصل التنزيل ولا تخالف معهود الأميين في الخطاب، فما أكثر الآيات التي حرّف مدلولها تبعا لما يتغيّاه المفسر في نظرته لواقع الناس، صحيح أن القرآن كتاب تحرّك لا تبرّك، وأن الباحث مطالب بتجديد الخطاب الهدائي وتحديث الوعي الإنساني، ولكن بالمقابل لا بد من الحرص على عدم الوقوع في فخاخ التبديل لما أراده الله، أو نزع قداسة النص والتعامل معه بحرية مطلقة دون قيود أو حدود، أو التأثر باصطلاحات خارجة عن حدّ الفنّ واستخدام آليات الفهم المعاصر أمثال الهرمنوطيقية أو السيميولوجية أو التفكيكية، فالقرآن حامل، والواقع محمول.

ولعل أكثر التفاسير التي نجد فيها التحريف بارزاً هي التفاسير المعاصرة ذات النزعة العلمية والاجتماعية؛ لأنها تتأثر بالمستجدات وتحاول ربط الهداية بكل ظاهرة طارئة في حياة الناس، ونكتفي بالمثال الذي ذكره محمد عبده في تفسيره لسورة الفيل، حيث أَوّل دلالة الطير وكذا الحجارة التي رمت بها على غير المتعارف به، فقال: "وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وإن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها" (١)، ثم قال بعدها مقررا الهداية: "ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل –وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما– ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر، ولا يدرك بالبصر،

(١) تفسير جزء عمّ، ص١٥٨.

حيث ساقه القدر، لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب و أبهر" (١).

إن الهداية القرآنية التي استدرّها محمد عبده قد مزجها بما هو بعيد عنها، حيث أضاف لها عنصر التهويل والتضخيم لتؤثر في عقول الناس، وركّز على المكروب الذي اكتشفته التحاليل الطبية والمخابر البحثية ليؤكد للقراء أن القرآن كتاب عالمي، وأن هداياته تتوافق مع الاختراعات والابتكارات، والمفروض أنه يقف عند ألفاظ القرآن ويفسر بما هو مكشوف لعلمهم، ويستمطر الهدايات الراشدة دون الحاجة إلى تعظيم الخوارق وتحوير النص للتأكيد على قدرة الله تعالى وعظيم سطوته.

(١) تفسير جزء عمّ، ص١٥٨.

خاتمة

في ختام البحث، وبعد تقريب القيم الإنسانية من خلال الهدايات القرآنية وضبط مسار العمل في سبيل تحقيق ذلك مع بيان العوائق والصوارف، تجلت لي **بعض النتائج التي يمكن عدّها في النقاط الآتية:**

١. أولى القرآن الكريم عناية بالغة بالقيم الإنسانية، وقد استغرق جميع مصالح العباد بالعبارة والإشارة.

٢. إن ما نراه اليوم متمثلاً في كثير من أخلاق الكفار وقيمهم الإنسانية هي في الحقيقة قيمٌ رسَّخها القرآن في كثير من الآيات ودعا إليها.

٣. إذا أردنا تتبع الهدايات الداعية لبناء الإنسان وترشيد تصرفاته مع نفسه وغيره فسنجدها متوزعة على خمس محاور؛ وهي: القيم الفردية، والعائلية، والمجتمعية، والوطنية، والدولية.

٤. تتمثل ضوابط الاستثمار الحسن للهدايات القرآنية في: التمكن من ناصية الاستنباط، الفهم الصحيح للهدايات والقيم، الإدراك المتوازن للواقع، حسن التنزيل، صلاحية المحل المستقبل.

٥. ترتدّ معوقات تحقيق استثمار الهدايات القرآنية إلى: ضعف البصيرة العلمية، غياب القدوة العملية، التكلف في استخراج ما لا فائدة فيه، تحريف الهداية وتحويرها تبعا للواقع.

وفي نهاية البحث، أرفع لمعشر الباحثين والمتخصصين ما ظهر لي من مقترحات، وهي:

١. تكثيف الجهود الدراسية في باب الهدايات، إما على مستوى الأطاريح، أو البحوث القصيرة، وذلك بدراسة القيم الإنسانية من خلال التركيز على المقصد القِيَمي لكل سورة مفردة.

٢. عقد المؤتمرات والندوات في باب الهدايات واستثمار نتائج جهود الباحثين المتفرقة للخلوص بقوانين عامة وقواعد ضابطة.

٣. محاولة التقريب بين التخصصات الشرعية وغيرها من العلوم المجاورة لحسن تقريب المفاهيم القيمية والهدائية.

قائمة المصادر والمراجع

١. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢. أحكام القرآن، محمد بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٣. البحر المحيط، محمد بن حيان، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

٥. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن جزي، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٦. التفسير البسيط، علي الواحدي، عمادة البحث العلمي، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٣٥هـ.

٧. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٨. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، دار طيبة، الرياض، تحقيق: سامي السلامة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٩. التفسير الكبير، محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٠. تفسير جزء عم، محمد عبده، مطبعة مصر، مصر، ١٣٤١هـ.

١١. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت.

١٢. تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٣. الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

١٤. روح المعاني، محمود الألوسي، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٥. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، د.ت.

١٦. الشورى في ضوء القرآن الكريم، هبة عوف عبد الرحمن، مجلة كلية البنات الأزهرية، مصر، المجلد ٦، العدد ٥، ٢٠٢١م، ص١١٤٤.

١٧. ضوابط تنزيل الهدايات القرآنية على الواقع، فخر الدين المحسي، مؤسسة النبأ العظيم، السعودية، ط١، ١٤٤١هـ.

١٨. فتح القدير، محمد الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١٩. الفوائد، محمد بن القيم، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عطاءات العلم، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، ط٤، ١٤٤٠هـ.

٢٠. مجالس التذكير، عبد الحميد بن باديس، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٢١. المحرر الوجيز، عبد الحق بن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٢. مدارج السالكين، محمد بن القيم، تحقيق: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

٢٣. معالم التنزيل، الحسين البغوي، تحقيق: جماعة من الباحثين، دار طيبة، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ.

٢٤. الموافقات، إبراهيم الشاطبي، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، مصر، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٥. النكت والعيون، علي الماوردي، تحقيق: ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٢٦. هدايات القرآن الكريم، فريق من المتخصصين، معالم التدبر، الرياض، ١٤٤٠هـ.

٢٧. الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، نخبة من المختصين، عمادة البحث العلمي، جامعة أم القرى، السعودية، د.ت.

٢٨. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي القيسي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ.